تيران في القرن السادس الميلادي

د. منـــيـــرة محمد الهمـــشري*

جامعة المنوفية، مصـــر

لعبت جزيرة تيران دوراً تاريخياً هاماً خلال العصر البيزنطي رغم أنها لم تظهر على مسرح الأحداث إلا خلال فترة قصيرة وذلك ما بين النصف الثاني من القرن الخامس والنصف الأول من القرن السادس ، حيث بلغ أقصى ازدهار لها خلال عصر الإمبراطور جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م) حينما عم الازدهار التجارة الشرقية لبيزنطة خصوصاً في البحر الأحمر ، وكما ذكر أحد المؤرخين الحديثين أن هذه الجزيرة هي الأكثر شهرة في هذه المنطقة ، ورغم أن موقعها كان على درجة عالية من الأهمية سواء بالنسبة للأنباط أو المصريين – حيث تتحكم في خليج إيلات– رغم ذلك فإنها ظلت مجهولة في الأوصاف الدقيقة التي تركها الجغرافيون في العصور القديمة [١].

لقد وردت مجرد إشارات عن الجزيرة في المصادر الكلاسيكية وذلك في سياق الحديث سواء عن خليج أيلة أو خليج القلزم أو عند الحديث عن البحر الأحمر ذاته[٢] ولكنها لم تظهر باسمها الذي عرفت به خلال العصر البيزنطي (يوتاب) أو (جوتاب) أو Ιωτάβη إلا خلال النصف الثاني من القرن الخامس عندما ذكرها

---

* أستاذ التاريخ اليوناني والروماني المساعد، كلية الآداب، جامعة المنوفية.

١ Abel, O.P. , *L'ile de Jotabè*, R.B., 1938, p. 512 .

٢ *Diod.*, III. 43 F; *Strabo* , XVI. 4, 18 ; 26; *Pliny* , N.H. VI. 156.

مالخوس الفيلادلفي وثيوفانس[٣] كما ذكرها أيضاً بروكوبيوس بنفس الاسم عند وصفه البحر الأحمر ودورها في عصر جستنيان ، كذلك ذكرها خوريكيوس الغزاوي [٤].

وتلقي هذه الدراسة الضوء على تاريخ وحضارة الجزيرة خلال النصف الأول من القرن السادس ، حيث بلغت التجارة الشرقية لبيزنطة درجة من الازدهار لم تشهدها من قبل .

كان موقع الجزيرة بالطبع هو أساس قيامها بهذا الدور التاريخي الذي وصفه الكتاب الكلاسيكيون – كما ذكرنا– ووصفه بروكوبيوس أحد كتاب العصر البيزنطي ثم الكتاب العرب بعد ذلك[٥] بحيث نستطيع من خلال المقارنة بالوصف الحديث[٦] أن نقول أن جغرافية المكان وموقع الجزيرة لم يتغيرا تقريباً عما كان عليه في العصر البيزنطي[٧] وعلى ذلك اتخذها الأباطرة البيزنطيون نقطة مكوس اعتبرت من أهم نقاط المكوس في الإمبراطورية خلال تلك الفترة الزمنية .

---

٣ Malchus, *Ex Historia Malchi Rhetoris Philadelphensis, Excerptra De Legationibus Gentium ad Romanos*, 1; Theophanes , *Chronographia*, AM 5990, A.D. 477-98 .

٤ Procopius , *Persian War*, I .X1X, 2-4; *Choricius of Gaza* , 67; R . Foerster & E. Richsteig, *Teubner*, 1929.

٥ ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٦-٧ ؛ القزويني ، آثار البلاد وأخبار العباد، القاهرة ، ١٣٢١ هـ ، جـ ١ ، ص ١٧٩؛ المقريزي ، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، المعروف بالخطط المقريزية ، جـ ١ ، ص ١٧.

٦ *Sailing Direction for the Red Sea and Gulf of Aden*, published by Hydrographic Office under Authority of Secretary of Navy, U.S. government, Pringing Office, Washington, 4th ed. 1952, pp. 173-4 (6-8); *Red Sea and Gulf Aden Pilot, Published by Hydrography of Navy*, London, 1967, pp. 286-7 , 291.

٧ أنظر دراستنا عن جزيرة يوتاب في القرن الخامس ، " دور عرب الجزيرة العربي في حكم جزيرة تيران ، رؤية موثقة في الديبلوماسية العربية خلال القرن الخامس " ، اللقاء العلمي الخامس لجمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية ، الدوحة ، مارس ، ٢٠٠٤م ، وفيها وصف شامل لموقع الجزيرة وجغرافيتها والظروف المناخية بها منذ العصر البطلمي .

لقد أخبرتنا المصادر[٨] أنه في عصر الإمبراطور ليو (٤٥٧-٤٧٤م) استطاع أحد القواد العرب ويدعى امرؤ القيس ، الزحف من شمال شرق الجزيرة العربية إلى غربها ، وفي طريقه سلب ونهب قبائل عربية ثم استولى على الجزيرة، وكما ذكر مالخوس قام بجباية الضرائب منها لنفسه ، وقد أصبح فيلارخوس من قبل بيزنطة سواء على العرب الذين نشر الذعر بينهم، أو على مناطق أخرى ولاه عليها الإمبراطور البيزنطي، علاوة على الاعتراف به حاكماً على الجزيرة ودعوته لزيارة بيزنطة[٩].

ولكن هل ظل الحال على ما هو عليه خلال الفترة التالية على حكم ليو ، أم أنه كان هناك تغيير في السياسة البيزنطية تجاه جزيرة يوتاب والمنطقة المحيطة بها ، وهل كان للجزيرة دور حضاري قامت به خلال فترة ازدهارها ، سواء عندما وضع العرب أيديهم عليها أو عندما استردتها بيزنطة منهم.

ذكرت الجزيرة في المصادر – كما ذكرنا- عندما استطاع امرؤ القيس، هذا القائد العربي ، أن يستولى عليها ، ومن ثم استجابت الإمبراطورية لمطالبه جميعها، وكان ذلك بسبب الظروف الخارجية للإمبراطورية[١٠] واحتياج بيزنطة له في هذا الوقت بالذات لحماية حدودها مع الفرس ، ومن ثم ساعدته تلك الظروف على أن يكون حاكماً (فيلارخوس) على جزء كبير من شمال وشمال غرب الجزيرة العربية – يعتقد أن من بينها شرق خليج أيلة- حيث خطوط التجارة البرية التي تـكون هي والخطوط

---

٨ Malchus , *Ex Historia* , 1.

٩ أنظر دراستنا التي أشير إليها في هامش رقم (٧) وفيها حديث مفصل عن دور امرؤ القيس الغساني في جزيرة يوتاب .

١٠ Bury, J. B. , *A History of Later Roman Empire*, London, 1958, V. I, p. 318; Ostrogorosky, G. , *History of the Byzantine State*, Eng. Trans. J. Hussey, Oxford, 1956, p. 57; Vasiliev, A. , *History of the Byzantine Empire*, Madison, 1984, V. I, p. 104; Shahid, I . , *Byzantium and the Arabs in Fifth Century*, Washington, 1986, p. 71;
السيد الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، بيروت ، ١٩٨٢ ، ص٥٥ .

البحرية في البحر الأحمر وحدة اقتصادية واحدة ذات أهمية عظمى بالنسبة للإمبراطورية البيزنطية ، أيضاً ساعدته الظروف التي كانت تمر بها منطقة جنوب غرب الجزيرة العربية من وجود النفوذ الفارسي فيها وخوف بيزنطة من امتداد هذا النفوذ إلى وسط وشمال الجزيرة العربية ، ويبدو أن ذلك كان وضعاً مؤقتاً بالنسبة للجزيرة حيث كانت تلك الظروف جميعها هي التي جعلت الإمبراطور ليو يوافق على كل هذه المنح لهذا الحليف العربي ، وقد اتضح بعد نظر الإمبراطور في سياسته تجاه امرىء القيس لأننا نجد أن الوضع قد تغير بعد وفاته خصوصاً في عهد أناستاسيوس (٤٩١-٥١٨م) الذي استعاد الجزيرة ، ثم كان العصر الذهبي لها الذي ارتبط بازدهار تجارة البحر الأحمر في عهد جستنيان (٥٢٧-٥٦٥م).

وإذ نبدأ بعصر ليو، نجد أنه لم يذكر شيئاً عن الجزيرة في المصادر بعد وفاته، وذلك خلال عصر زينون (٤٧٣-٤٩١م) ومن الممكن أن ذلك يرجع إلى ما كان في عهده من مشاكل عندما فقدت الإمبراطورية إيطاليا واستولى البرابرة الجرمان على الشطر الغربي من الإمبراطورية وأصبح معظم غرب أوربا تحت حكمهم حيث أدت تلك الظروف بعد ذلك لقيام مملكة للقوط الشرقيين في إيطاليا عام ٤٩٣م [١١] ؛ من ناحية أخرى كان هناك القلاقل التي أحدثها الأيسوريون ، بسبب قيام الحروب بين زعمائهم من أجل الوصول للحكم وانتزاع السلطة من الإمبراطور الذي كان هو واحداً منهم [١٢]، ولكن يبدو أن الجزيرة لم تظل تحت سيطرة خلفاء امرىء القيس مدة طويلة لأننا نجد أن المصادر تنقلنا بعد ذلك إلى تغيير متناقض تماماً في السياسة البيزنطية تجاه حلفائها العرب في شمال غرب الجزيرة العربية وجزيرة يوتاب عما كان عليه في عهد ليو، حيث يذكر ثيوفانس[١٣] أنه في العام السابع من حكم أناستاسيوس" في ذلك

---

١١ Ostrogorosky, op. cit, p. 58 ; Vasiliev, op. cit, p. 107.
الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، ص ٥٦ -٥٧

١٢ Idem.

١٣ Theophanes , *Chronographia*, AM 5990, A.D. 497-98.

الوقت كان رومانوس قائد الجيش في فلسطين، رجلاً ممتازاً سواء في خططه (الحربية) الجيدة أو في قيادته ، لقد أسر حجر Ogaros بن الحارث Arethas (الذي عرف بعد ذلك بابن ثعلبان)* مع عدد كبير من الأسرى وكان رومانوس قد هزم أحد ساكني الخيام (السراقنة) الآخرين المدعو جبلة وأجبره على الفرار**، حيث كان قد اجتاح فلسطين قبل وصول رومانوس ، في هذا الوقت أيضاً، حرر رومانوس جزيرة يوتاب التي تقع في خليج البحر الأحمر ، وكانت تابعة للإمبراطور الروماني وتدفع جزية ضخمة ، وكان العرب سكان الخيام (السراقنة) قد وضعوا أيديهم عليها ، وذلك بعد معارك ضارية***، حيث أعادها إلى التجار الرومان ليقوموا على إدارتها ويدفعوا للإمبراطور الضريبة المحددة على البضائع التي يستوردونها من الهند ".

ويتضح من رواية ثيوفانس أن سياسة بيزنطة ناحية الجزيرة قد اختلفت تماماً، ويبدو أن ذلك كان نتيجة لتغيير الحالة السياسية للإمبراطورية في عهد أناستاسيوس (٤٩١ – ٥١٨ م) الذي استطاع كسر شوكة الأيسوريين عام ٤٩٨م [١٤] حيث نلاحظ

---

* يذكر الناشر أن ثيوفانس قال "ابن ثعلبان" ولكنه في الحقيقة يعني ثعلبة "Ta'laba" أحد فروع بكر ، وكان في الحقيقة ابن Amr' (عمرو) وكان ملك كندة ما بين ٤٩٨-٥٢٨ . أنظر Olinder, G., Kings of Kinda, Lund. 1927, p. 48, 51-3.

** يذكر الناشر أن جبلة (Gabala) كان حاكما للعرب الغسانة ويبدو أن جبلة هذا هو الذي لعب دوراً مهما في العلاقات الغسانية البيزنطية طوال حوالي ثلاثين عاماً قبل وفاته عام ٥٢٨ ، حيث حارب من أجل بيزنطة ضد الفرس . Zacharia Scholasticus, *Ecclesiastical History*, ed . E . W . Brooks, CSCO 88 (Louvain, 1924) 64; Shahid, I , *Byzantium in sixth Cent.* , p. 23, n.107.

*** يذكر عرفان شهيد Shahid, I. , *Byzantium and the Arabs in the Fourth Century*, Washington, 1981, p. 15 أنه كان هناك عملية عسكرية ضد العرب في جزيرة (يوتاب) عام ٥٠٠ م، ولعله يقصد هذا القتال الذي كان بين القائد البيزنطي (رومانوس) وقوات (جبلة) العربي ، ومن الممكن أن (رومانوس) قد اجتاح فلسطين عام٤٩٨ كما يذكر ثيوفانس (في العام السابع من حكم أناستاسيوس) ثم هاجم الجزيرة عام ٥٠٠.

١٤ Ostrogorsky, op. cit., p. 60; Vasiliev, op. cit, p. 109;
أنظر أيضا، الباز العريني ، الدولة البيزنطية، ص ٥٩

أنه العام السابع من حكمه الذي يذكره ثيوفانس في نصه ومع صمت المصادر في عهد زينون حيث لم نجد ما نستدل عليه بالنسبة للجزيرة ، يمكننا أن نفسر رواية ثيوفانس عدة تفسيرات :

يذكر ثيوفانس أن الجزيرة كانت تابعة للإمبراطور الروماني، ولعله يقصد بذلك الإمبراطور ليو وأن العرب ساكني الخيام قد استولوا عليها ويقصد بهم امرؤ القيس ثم أعادها رومانوس إلى التجار الرومان، وعلى ضوء هذا الافتراض نستطيع أن نقول أنه بعد وفاة امرىء القيس تولى جبله الحكم، وذكر ثيوفانس أن جبلة قد اجتاح فلسطين هي والجزيرة قبل وصول رومانوس لا يعدو أن يكون معناه أن جبلة قد استولى عليها بعد وفاة امرىء القيس• وتكون الفترة التي تفصل ما بين استيلاء امرؤ القيس عليها (٤٧٣-٤٧٤م) وإخراج جبله منها (٤٩٨-٥٠٠م) ما بين أربعة وعشرين إلى ستة وعشرين عاماً، وعلى ذلك يكون امرؤ القيس قد توفي بعد وفاة ليو وتولى الحكم بعده جبلة مباشرة••.

والافتراض الثاني هو أن يكون امرؤ القيس قد توفي في عهد زينون، وكان جبلة هذا أول وريث له حكم الجزيرة وقام بجباية المكوس فيها، وأثناء انشغال زينون بالأحوال الداخلية في الإمبراطورية قامت خلافات بين خلفاء امرىء القيس أخرج على إثرها جبلة من الجزيرة، ومن الممكن أن يكون حجر بن الحارثة الذي يذكره ثيوفانس في نصه أحد المنازعين لجبلة في فلسطين•••، ويبدو أن جبلة استطاع استرجاع

• يذكر ناشر النص أن كلمة (αὐθις) تعني أن أناستاسيوس أعاد النفوذ (الروماني) على جزيرة يوتاب الذي كان موجوداً قبل غزو امرؤ القيس لها عام ٤٧٣.

•• يذكر عرفان شهيد Shahid, *Byzantium in the Fifth Century*, p. 87 أن جبلة كان أول خلفاء امرؤ القيس ، وكانت المعاهدة بين امرؤ القيس والإمبراطور ليو أن يكون التجديد في حالة وفاة أحد الاثنين ، وفي هذه الحالة فإن زينون (٤٧٤-٤٩١م) سوف يجددها مع امرؤ القيس حيث توفي ليو عام ٤٧٤م ثم يجددها أناستاسيوس مع الحاكم العربي في عام ٤٩١ م، ويبدو أن هذا الحاكم كان جبلة ، وهذا يعتمد على طول حياة امرؤ القيس. وحسب قول عرفان شهيد يكون جبلة قد عاصر زينون ثم أناستاسيوس وإذا كان إخراج رومانوس له عام (٤٩٨-٥٠٠م) يكون جبلة قد استمر حاكماً للجزيرة أكثر من عشرين عاماً.

••• يذكر موزيل ما يلي Musil, A., *The Northern Hegaz*, New York, 1926, p. 301, n. 4 يبدو أن الرومان قد استولوا على الجزيرة بعد وفاة امرؤ القيس على أثر نزاع وقع بين

الجزيرة أيضاً وضع يده على أملاكه في فلسطين مرة ثانية حيث جاء رومانوس وأخرجه من الاثنين وأعاد الجزيرة إلى التجار الرومان كما يذكر في نصه وهذا يفسر قوله "حيث كان (جبلة) قد اجتاح فلسطين قبل وصول رومانوس" .

ومن الممكن أن يكون هناك تفسير ثالث لنص ثيوفانس ، فمن المعروف أن أيلة على رأس الخليج كانت محطة لقوات نقلت من أورشليم في عهد دقلديانوس ، وكان هناك أيضاً بعض الوحدات العسكرية في شمال الجزيرة العربية [١٥]، ويحتمل أن تلك الوحدات قد أخرجت جبلة من المناطق التي كان قد استولى عليها امرؤ القيس ، كذلك من الجزيرة ، ومن الممكن أن يكون جبلة قد استردها مرة أخرى في عهد زينون حيث كان يدفع الضرائب للإمبراطور إلى أن أخرجه منها رومانوس ، وهذا يفسر قول ثيوفانس أن جزيرة يوتاب – قبل استيلاء رومانوس عليها – "كانت تابعة للإمبراطور الروماني ، تدفع جزية ضخمة ، وكان العرب سكان الخيام قد وضعوا أيديهم عليها" .

ورغم الإصلاح المالي الذي قام به أناستاسيوس ــ والذي كان استرجاع الجزيرة جزءا منه حيث لم يرغب في ترك دخلها للعرب أكثر ــ من ذلك فيبدو أن الأحوال الداخلية في عهد كل من زينون وأناستاسيوس سواء بسبب المشكلة الأيسورية أو المشاكل الدينية قد أدت إلى تذمر عام ضد الإمبراطور أناستاسيوس[١٦]، ويبدو أيضاً أن تلك الأحداث كانت من أسباب استمرار وضع العرب يدهم على الجزيرة ، أو استيلائهم عليها مرة ثانية بعد إخراجهم منها لأي سبب من الأسباب، لأننا نجد ذكر ثيوفانس " العام السابع من حكم أناستاسيوس " يتوافق مع العام الذي انتهت فيه المشكلة الأيسورية .

ورثته أضعف من مركزهم ، فانتهز الرومان هذه الفرصة وانتزعوا ما تمكنوا من انتزاعه من أملاكه.

[١٥] عن الوحدات التي تتخذ من فلسطين وشمال الجزيرة العربية محطات لها أنظر ،
Shahid, *Byzantium in Fifth Cent.*, p. 10, n. 39 ; pp. 467-9.

[١٦] Abel, op. cit, p.527;
الباز العريني، الدولة البيزنطية ، ص ٥٨ – ٦٣.

يأتي بعد أناستاسيوس عصر الإمبراطور جستين الأول (٥١٨-٥٢٧م) الذي انشغل بتوطيد النفوذ البيزنطي في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، حيث نجد في المصادر سفارة أرسلت فيما بين الأعـــوام من (٥٢٢-٥٢٧ م) وكتب عنها كل من ثيوفانس وكوزماس وبروكوبيوس [١٧] ، وقد حثت تلك السفارة أثيوبيا على غزو اليمن ــ حيث كان النفوذ الفارسي ــ أيضاً العمل على ربط الحميريين (بالتجارة) مع الإسكندرية عن طريق البحر الأحمر وذلك لتهديد الساسانيين [١٨] ، وبالفعل كان هناك غزوة قام بها الأحباش ضد اليمن ، حيث استولوا عليها وحكموها [١٩]، وكان ذلك تعزيزاً للنفوذ البيزنطي في جنوب غرب الجزيرة العربية – الذي كان أحد الأسباب التي أضطر ليو من أجلها من قبل إلى التنازل عن الجزيرة وإطلاق يد امرىء القيس في شمال غرب الجزيرة العربية حتى يتفادي التهديد الفارسي على التجارة البرية – ويعطينا ما حدث في جنوب غرب الجزيرة العربية مبرراً لعدم وجود الجزيرة في المصادر في عهد الإمبراطور جستين ، حيث استتبت الأمور فيها لبيزنطة بعد إخراج رومانوس للعرب منها في عهد أناستاسيوس وعودة جباة الضرائب البيزنطيين للجزيرة.

---

١٧ Theophanes , Chronographia, AM 6064; *Cosmas Indicopleustes* , II. 140-141; *Procop.* , I. XX, 9-13.

١٨ أنظر دراستنا : سفارات الدولة البيزنطية إلى الحبشة وجنوب الجزيرة العربية في النصف الأول من القرن السادس ، دراسة من خلال المصادر الكلاسيكية ، مجلة معهد الدراســات الأفريقيــة ، جامعة القاهرة. ٢٠٠٣ .

١٩ أنظر ذكر كوزماس *Cosmas*, II. 140-41 عن تحديده تاريخ الحملة بأنها كانت أثناء حكــم جستين والتي استولى فيها الحبشة على اليمن بمساعدة بيزنطة لها بالأسطول الحربي . انظر أيضاً مخطوط استشهاد القديس الحارث Acta Sanactae Arethae حيث يذكر أن الملك الأكســومي لأجل إعداده للحملة استعان بسفن من أيلة والقلزم وبرنيكي ، يوتاب ، جزيرة فرســان أنظــر ، Johnson A.CH. and West, L., *Byzantine Egypt, Economic Studies*, London, 1944, p. 138.

على أي الأحوال فقد كان إخراج جبلة من الجزيرة هو آخر عهد للحكم العربي لها ، الذي بدأ منذ استولى عليها امرؤ القيس عام ٤٧٣م إلى إخراج جبلة منها ما بين عامي (٤٩٨-٥٠٠م) وبدأ عهد جديد تحت حكم جستنيان منذ نهاية الربع الأول من القرن السادس ، وهو القرن الذي اعتبر من أكثر عهود التجارة البيزنطية ازدهاراً بالنسبة للتجارة الشرقية نظراً للانتعاش الاقتصادي الذي عم الإمبراطورية في عهد أناستاسيوس ، كذلك السنوات الأولى من عهد جستنيان، وساد الهدوء طرق التجارة الشرقية – فيما عدا الحرير الذي كان يسير خلال فارس – حيث كان التبادل التجاري يتم في سيلان ، ومن هناك تحمل البضائع على السفن الحبشية إلى أدوليس في أكسوم على البحر الأحمر[٢٠] .

لم يرض جستنيان للإمبراطورية البيزنطية أن تعتمد في اقتصادها على الفرس، لذلك بدأ في التماس طريقاً تجارياً إلى الصين والهند لا يخضع للنفوذ الفارسي[٢١] ، وقد رأي أن يتخذ من البحر الأحمر طريقاً رئيسياً ومباشراً للاتصال بينهما وبين الدولة البيزنطية فأقام حامية عسكرية في أيلة حيث كان يجري نقل التجارة منها إلى البحر المتوسط عن طريق فلسطين وسوريا ، وكان القلزم هو الميناء الآخر الذي يقع في أقصى الشمال الغربي من شاطئ البحر الأحمر ومنه يجري الاتصال مباشرة أيضاً بالبحر المتوسط ، وقد تم في عصره مراقبة التجارة بشكل صارم وخصصت نقاط معينة رخص لها بتحصيل المكوس في أنحاء الإمبراطورية ، فكانت القلزم ويوتاب التي تقع في مدخل خليج أيلة والتي يجري جباية المكوس فيها على السفن التي تجتازها[٢٢].

---

٢٠ Runciman, S., *Byzantine Civilization,* London, 1961, 163-5.

٢١ Vasiliev, op. cit, p. 163;

الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، ص ٨٨

٢٢ الباز العريني، الدولة البيزنطية ، ص ٨٨؛

Abel, *L'ile,* pp. 520-24; Hyd, W. , *Histoire du commerce du Levant au Moyen Âge*, tome. 1., p. 10; Diehl, Ch., *Justinien et la civilisation byzantine au VI^e siècle*, Paris, 1901, p. 390; Jones, A.H.M. , *The Decline of the Ancient*

لقد كانت تجارة الإمبراطورية الشرقية مقسمة بين الإسكندرية والعرب ، وكانت سياسة جستنيان هو عمل علاقة طيبة مع مملكة أكسوم وحمير المتحكمتين في المدخل الجنوبي للبحر الأحمر ، أيضاً حماية الطرق البرية غرب الجزيرة العربية والبحرية على طول البحر الأحمر حتى أيلة والقلزم لذلك بدأ في اتخاذ حلفاء له من العرب ، ليس حليف واحد كما فعل ليو من قبل ، ولكن عدة حلفاء انتشروا حول طرق التجارة البرية والبحرية حتى يمكن تصور أنه شكل طوقاً من النفوذ البيزنطي حول البحر الأحمر ، فمن جنوب غرب الجزيرة العربية التي استطاع جستين توطيد النفوذ البيزنطي فيها من قبل سواء عن طريق الديبلوماسية [٢٣] ، أو الاحتكاك المسلح [٢٤] إلى قواد عرب معد وكندة سواء على الساحل أو في وسط الجزيرة العربية [٢٥] ، إلى حليفه العربي الذي دعاه بروكوبيوس أبو كارب Ἀβοχάραβος في شمال غرب الجزيرة[٢٦] ، إلى الحارث بن جبلة وقيس المعدي في فلسطين [٢٧] لمواجهة الفرس ، ثم كان غرب البحر الأحمر حيث حلفائه الأحباش منذ عهد جستين [٢٨] ثم مصر الولاية البيزنطية في الشمال وبالطبع لعبت جزيرة يوتاب دوراً شديد الأهمية وسط هذا الزخم من النفوذ البيزنطي الذي حما تجارة الإمبراطورية ، بحيث نستطيع أن نقول– رغم قلة المعلومات أو انعدامها تقريباً عن دورها بالتفصيل كنقطة مهمة لتحصيل المكوس في تلك الفترة – أن سنوات ازدهارها الحقيقي كانت في عصر جستنيان . ولكن من حسن الحظ أن المصادر سواء الكتابية منها أو الأثرية قد أفصحت عن الكثير

World, London, 1990, p. 310 وكان يقيم في القلزم موظف إمبراطوري هو مراقب الحسابات. أنظر، Runciman, *Byzantine Civilization* , p. 165 .

٢٣ أنظر : سفارة الإمبراطور جستين إلى الحبشة المذكورة في دراستنا عن السفارات هامش رقم (١٨)

٢٤ Theophanes, *Chronographia*, Am 6064; *Cosmas*, II,140-41.

٢٥ Nonnosus, *Bibliotheca of Photius*, 3; *Procop* ., I. XX, 9-11; I. XIX, 14-15.

٢٦ *Procop* . , I. XIX, 7-13.

٢٧ عن الحارث بن جبلة *Procop* ., I. XVII, 47

وعن قيس المعدي *Procop.* , I. XX, 9-10; Nonnosus, *Bibliotheca of Photius*, 3.

٢٨ Theophanes , *Chronographia*, AM 6064; Nonnosus , *Bibliotheca of Photius*, 3; *Procop.* , I. XX, 9-13 .

من الحوادث والأدلة التي يمكننا من خلالها تكوين صورة واضحة عما كانت عليه المنطقة المحيطة بجزيرة يوتاب ، التي يعتقد أن تأمينها كان ضرورياً لحماية وتوطيد الوجود البيزنطي في الجزيرة .

يذكر بروكوبيوس في وصفه لخليج أيلة [٢٩] "هناك مدينة تقع على الشاطئ تدعى أيلة، عندما يصل الخليج إلى آخره ، كما ذُكر لي ، حيث يصبح (هناك) خليج ضيق " ويصف بعد ذلك كلا من شاطئ خليجي أيلة المصري والعربي ثم يذكر "وإذا أبحر المرء إلى أبعد من ذلك يجد أن هناك جزيرة تسمى يوتاب (Ἰωτάβη) لا يتعد بعدها أكثر من ألف استاديا من مدينة أيلة ، وعلى هذه الجزيرة عاش العبرانيون منذ القدم متمتعين بالحكم الذاتي من قبل ، ولكنهم أصبحوا تابعين للرومان أثناء حكم جستنيان" وبعد ذلك يصف البحر الأحمر وصعوبة الإبحار فيه ثم يذكر "هذا الشاطئ (شاطئ الجزيرة العربية الذي يمتد) مباشرة خلف تخوم فلسطين يتبع السراقنة (العرب) الذين استقروا منذ القدم في بساتين النخيل حيث تمتد هذه البساتين على مساحة كبيرة من الأرض ، وليس هناك أي شئ ينمو مطلقاً سوى (باستثناء) أشجار النخيل ، وقد تسلم الإمبراطور جستنيان بساتين النخيل هذه كهدية من Ἀβοχάραβος (أبو كارب) حاكم السراقنة هناك والذي عينه الإمبراطور φύλαρχος على السراقنة في فلسطين، حيث حمى هذه الأراضي من السلب الدائم سواء من البرابرة الذين يحكمهم أو من الأعداء (الآخرين) ، كان أبو كارب هذا رجلاً مهاباً، ممتازاً وشخصاً نشيطاً ، لذلك فإنه رغم أن واحات النخيل هذه كانت ملكاً للإمبراطور من قبل ولكن معه فإنه في الحقيقة ملكية أي من هذه الأقاليم هناك كان مستحيلاً تماماً (ولكن بالنسبة لهذا القائد فإن هذه الأقاليم كانت تابعة اسميا للإمبراطور). وهناك أرض (تابعة لواحات النخيل) ، ليست مأهولة بالسكان تماماً ، تمتد خلال منطقة جافة وتبعد مسافة مسيرة عشرة أيام ، والأكثر من ذلك أن واحات النخيل نفسها لا تساوي شيئاً وقد أعطاها أبو كارب كهدية (شكلية) للإمبراطور الذي وافق مع علمه التام بالحقيقة ، وإلى جوار (محاذياً) هؤلاء

---

٢٩ *Procop.*, I, XIX, 3-4.

الناس (سكان واحة النخيل؟) هناك سراقنة آخرون يملكون الساحل (وهم الذين) سموا بالمعديين وهم جزء من الحميريين (أتباع للحميريين) " .

في النص الذي استخلصناه من حديث لبروكوبيوس عن البحر الأحمر ، نجده يذكر أن جزيرة يوتاب لا تبعد أكثر من ألف ستاديا عن مدينة أيلة وهو ما يتطابق مع ما ذكره الكتاب الكلاسيكيون(٣٠)، ولكن هناك عدة نقاط حول تاريخ الجزيرة تجدر مناقشتها من خلال هذا النص :

أولاً : وجود العبرانيين على الجزيرة

ثانياً : الأقوام الذين دعاهم بروكوبيوس بالسراقنة (Σαρακηνοὶ) الذين سكنوا واحات النخيل وحاكمهم الذي دعاه بروكوبيوس أبو كارب Ἀβοχάραβος وتعيين جستنيان له كفيلارخوس على هؤلاء السراقنة، وأين تقع واحات النخيل تلك من جزيرة يوتاب، وهل امتد نفوذ هذا الفيلارخوس إلى الجزيرة أم لا.

ثالثاً : المعديين الذين ذكرهم بروكوبيوس ودورهم أثناء حكم جستنيان.

ولمناقشة القضية الأولى نجد أنه يذكر:

" وعلى هذه الجزيرة عاش العبرانيون منذ القدم متمتعين بالحكم الذاتي من قبل (منذ القدم) ولكنهم أصبحوا تابعين للرومان تحت حكم جستنيان"(٣١)

ἔνθα Ἑβραῖοι αὐτόνομοι μεν ἐκ παλαιοῦ ὤκηντο,ἐπὶ το ὑτου δὲ Ἰουστινιανοῦ βασιλεύντος κατηροοι ' Ρωμαίων γεγένηνται. .

والنص يذكر " منذ القدم" ἐκ παλαιοῦ يوحي أنهم مقيمون على الجزيرة منذ زمن بعيد ومن تتبع النصوص التي ذكرت فيها الجزيرة منذ أواخر القرن الخامس نجد أن نص مالخوس(٣٢) الذي يرجع إلىعهد ليو (٤٥٧-٤٧٤) والذي تحدث عن أن امرؤ القيس عندما استولى على الجزيرة "أخرج جباة العشر التابعين للرومان " .

٣٠- انظر هـ ٢.

٣١ *Procop.*, I, XIX, 4.

٣٢ Malchus, *Ex Historia*,1.

μίαν δὲ τῶν Ρωμαίων παρεσπάσατο νήσον Ἰωτάβην Ὃ νομα, καὶ τοὺς δεκατηλόγους ἐκβαλὼν τῶν Ρωμαίων αὐτὸς τὴν νῆσον .

ولم يذكر أن أمرؤ القيس قد أخرج الرومان ولذلك يمكننا أن نفسر أن الذين أخرجهم امرؤ القيس من الجزيرة كان بينهم عبرانيون ، ولكن لا نستطيع تأكيد هذا الافتراض ، حيث أن نص ثيوفانس[٣٣] ، الذي يرجع إلى العام السابع من حكم أناستاسيوس (٤٩١-٥١٨) يذكر فيه أن الجزيرة كانت تابعة للإمبراطور الروماني وأن العرب السراقنة (بقيادة جبلة) كانوا قد وضعوا أيديهم عليها ، وأن رومانوس قد حررها " وأعادها إلى التجار الرومان" ومعنى ذلك أنها قبل دخول امرىء القيس لها وخروج جبلة منها كانت تابعة للبيزنطيين ، سواء أكان ثيوفانس يقصد بقوله أنها كانت تابعة للإمبراطور الروماني أنه ليو وأن العرب بقيادة امرؤ القيس قد وضعوا أيديهم عليها حتى أخرج رومانوس جبلة العربي منها ، أم كان يقصد أنها كانت تابعة للإمبراطور الروماني ، أي استرجعها البيزنطيون بعد موت كل من امرؤ القيس وليو ، ثم عاد العرب ووضعوا أيديهم عليها إلى أن أخرجهم رومانوس منها ، ومن الممكن أثناء تبادل العرب والبيزنطيين ملكية الجزيرة لا نستبعد أنه كان هناك جباة ضرائب عبرانيون على الجزيرة للعمل تبع التجار البيزنطيين ، وهذا يفسر قول بروكوبيوس "منذ القدم".

والتفسير المنطقي هو أن الجزيرة أقام عليها جباة الضرائب التابعين للبيزنطيين وساعدهم اليونانيون ، وكانوا يعملون لحساب الإمبراطور البيزنطي من قبل عهد ليو إلى أن أخرجهم امرؤ القيس ، وسواء ظل العرب على الجزيرة أو خرجوا منها وعادوا مرة أخرى ، فإنه من المرجح أن الجزيرة ظلت في عهد زينون (٤٧٤-٤٩١م) بين العرب والبيزنطيين إلى أن أخرج رومانوس العرب منها في عهد أناستاسيوس ومن الممكن أن يكون رومانوس قد وافق على إقامة جباة ضرائب يهود مع التجار الرومان . أما في عهد جستين (٥١٨-٥٢٧م) فإننا – من خلال تتبع الأحداث التاريخية لوجود العبرانيين في المنطقة شرق خليج ايلة وجزيرة يوتاب- نجد

---

٣٣ Theophanes, *Chronographia*, AM., 5990 .

أن هناك السفارة التي أرسلها جستين إلى الحبشة وظهرت في الوثائق[٣٤] ، ثم كان غزو الحبشة لليمن[٣٥] فيما بين عامي (٥٢٢-٥٢٧ م) ، وعلى أثر هجوم الأحباش على اليمن هرب كثير من اليهود إلى أماكن عدة داخل الجزيرة العربية حيث اتخذ أعداد منهم طريق جبال السرات ليستقروا في مستوطنات شرق خليج أيلة،* وشيئاً فشيئاً استطاعوا العمل كجباة ضرائب على الجزيرة إما لحساب الإمبراطور البيزنطي أو لحسابهم على أن يدفعوا ضرائب للإمبراطور ، ويبدو أنهم ظلوا يمارسون نشاطهم على الجزيرة حتى كانت حملة الاضطهاد التي كانت في عهد جستنيان ضد اليهود في فلسطين[٣٦] ، ومن الممكن أن تكون سياسته تلك قد طبقت

---

٣٤ Theophanes, *Chronographia*, AM, 5990; *Procop.*, I. XX, 9.

٣٥ *Cosmas*, II. 140-41.

* يذكر Abel , op. cit., p. 529. أنه بعد نجاح حملة الأثيوبيين على اليمن وتعيين نائباً فيها عن الملك الحبشي، فتحت طرقاً تجارية جديدة ، ومحتمل أنه تحت هذا الضغط من الأحداث التي انتهت عام ٥٢٥ استطاع اليهود بعددهم الكبير الوصول إلى شمال بلاد العرب ، وكونوا مستعمراتهم في الحجاز وانتشروا منها على جانبي خليج العقبة ، ويذكر أن هؤلاء هم الذين سيتقابل معهم الرسول (ص)- صاحب النفوذ في يثرب – في فدك Fadak وفي واحة وادي القرى ، حيث احتلت قبائلهم تيماء ، وكانت خيبر قلعة لهم ، ولما هدد النبي أيلة من تبوك جاء إليه رئيس الطائفة الإسرائيلية بهذه المدينة ليقدم له ولائه. أنظر:
Lammens, H., "L'ancienne frontière entre la Syrie et le Hidjaz", dans *Bull. de l'Inst. Fr. d'Arch. Orient.*, L.t . XIII, 1917, p. 74 ss.

٣٦ يذكر الباز العريني ، الدولة البيزنطية ، ص ٩٩ أن جستنيان قام بإخماد ثورات اليهود في فلسطين عام ٥٢٩ وأتخذ ضدهم إجراءات صارمة. ومن الواضح أن عبارة ἐκ παλαιοῦ التي ذكرها بروكوبيوس لا تعني وجود اليهود على الجزيرة لمدة طويلة ، ويبدو أنهم تجار أقاموا على الجزيرة بعد فقد مملكتهم في اليمن وهروب أعداد كبيرة منهم واستيطانهم في بعض المستوطنات في غرب الجزيرة العربية. ومن يرى سلوك الأباطرة البيزنطيين تجاه اليهود يدرك تماماً ، أنه من المستحيل أن يسمحوا لهم بالبقاء على الجزيرة لمدة طويلة . أنظر : رأفت عبد الحميد ، بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة ، القاهرة ، ١٩٧٧، ص١٧٦-١٧٧ عن تشريعات ثيودوسيوس ضد اليهود عام ٤٣٨ كذلك موقف زينون منهم ، ثم جستنيان وتجديده تشريعات ثيودوسيوس وإضافة مواد جديدة عليها ، ثم إخماده ثورتهم وطردهم من الجزيرة .

أيضاً على اليهود المقيمين على الجزيرة ، وكما يذكر بروكوبيوس أنهم أصبحوا تابعين للرومان تحت حكم جستنيان بعد أن كانوا متمتعين بالحكم الذاتي .

وفي هذه الحالة فإن قول بروكوبيوس منذ القدم ἐκ παλαιοῦ لا يمكن أن نفسره إلا على ضوء قوله في بداية النص "قيل لي" أو (سمعت) ὥσπερ μοι εἴρηται على أساس أن الفترة ما بين غزو الحبشة لليمن وحمله الاضطهاد لجستنيان لا تحتمل قول " منذ القدم " ولكن نجد أنه ذكر عبارة منذ القدم هذه مرة ثانية عند حديثه عن السراقنة الذين استقروا في بساتين النخيل شرق خليج أيلة وأنهم موجودون فيها " منذ القدم " ، وعلى ذلك لا نستطيع تفسير قوله عن العبرانيين إلا أنه يقصد فعلاً أنهم موجودون على الجزيرة منذ مدة طويلة لأنه من اللازم أنه كان مدركاً تماماً أن العرب (السراقنة) موجودون فعلاً منذ فترة طويلة في شمال الجزيرة العربية .

أيضاً لدينا نص يرجع إلى القرن السادس (٥٣٠- ٥٣٦ م) يشرح الحوادث على الجزيرة والأراضي العربية عبر خليج أيلة ويدل على أنه هناك أقواما لم يعملوا لحساب التجار البيزنطيين كجباة ضرائب على الجزيرة فقط ولكنهم كانوا محتلين لها حيث يذكر خوريكيوس الغزاوي [٣٧] "يوجد جزيرة تسمى يوتاب كان عملها هو استقبال البضائع من الهند ، حيث تحقق دخلاً كبيراً من جباية المكوس عليها" .

νῆσός ἔστιν ὀνομα Ἰοτάβη , τὸ δὲ ἔργον ὑποδοχὴ φορτὶω ν τῶν Ἰνδικῶν, ὧν μεγας φόρος τα τέλη .

ويذكر خوريكيوس في مكان آخر من النص :

" وليس بعيداً يقيم شعب وثني (ἀνόσιον ἔθνος) في حصن من الصعب الاستيلاء عليه ، حيث أغار هؤلاء (الناس) يوما ما على الجزيرة التي كان مقاماً عليها

---

٣٧ *Choricius of Gaza* , 67, R. Foerster & E. Richsteig, Teubner, 1929.

معبدا على شرف العذراء ، أم الرب، وقد أشعل هؤلاء الوثنيون النار فيه واستولوا على الجمرك * ويبدو أن تلك الأقوام التي يذكرها خوريكيوس هم العبرانيون *.

وواضح من النص السابق أنهم استولوا على الجزيرة عنوة ، ولم يتسربوا إليها بهدوء للعمل كجباة ضرائب**. حيث يذكر خوريكيوس وجود قلعة (أو حصن) φρούριον سكنها غزاة الجزيرة حيث كانت إقامتهم القريبة (προσοικοῦσι) أساساً لعمليات حربية ὁρμητήριον وذلك لشل حركة الجمرك الموجودة بالجزيرة .

ويصف خوريكيوس في حديثه بعد ذلك المعارك الحربية التي خاضها أحد القواد (الرومان) ويدعى Aratius ضد هذا الحصن حتى استولى عليه ووقع السكان ما بين قتيل وأسير ، ثم أسند الحصن إلى رجال ثقاة كلفوا بجمع المال (الضرائب) لصالح الإمبراطور.

καί παραδέδωκας ἀνδράσι πιστοῖς τό χωρῖον ἀργυρόλογεῖν βασιλεῖ τεταγμένοις .

ومن الممكن أن تكون هذه القاعدة أو هذا المركز قريب من الجزيرة حتى يستطيعوا السيطرة عليها. ***

---

* يذكر Abel, op. cit., p. 530, n. 2 أن الصفات التي يذكرها خوريكيوس تدل على أنهم اليهود لأنه عندما تعلق الأمر بالعرب فإنهيذكرهم بأسمائهم ، أيضاً نستطيع أن نرجح ذلك استنادا على رأي بروكوبيوس السابق بأن العبرانيون سكنوا الجزيرة منذ القدم *Procop.*, I.xix, 4 .

** إذا افترضنا أنهم استولوا على الجزيرة بالقوة فمن المحتمل أنهم كما يذكر Musil, p. 307 أنهم كانوا جامعي ضرائب للإمبراطور وأخفقوا في سداد الضريبة ، لذلك أجبروا على العبودية.

*** يذكر Abel, op. cit., p. 530-1 أنه من الممكن أن تكون هذه القاعدة أو هذا المركز هو مقنة(Μακνα) أنظر : Ptolemy, VI, 7 التي يؤهلها موقعها لأن تحصن وتزود بالمياه ويستند في رأيه على أنه عندما أقام النبي محمد في تبوك كان يوجد في مقنة Maqna طائفة يهودية فرض النبي عليها جزية سنوية تعادل ربع حصيلة صيد السمك ، النخيل ، المنسوجات ، وتبعد مسافة ٤٥ كم شمال مدخل خليج أيلة ومن الممكن إشرافها على التجارة البيزنطية في القرن السادس وكانت جزيرة يوتاب من ضمن هذه التجارة ، لذلك عندما خربت هذه المدينة – في عهد

على أي الأحوال يبدو أن العبرانيين قد استولوا على الجزيرة في فترة من حكم أحد الأباطرة بعد وفاة ليو إما من العرب الذين كانوا فيها بعد استيلاء امرىء القيس عليها مستغلين صراع خلفائه عليها أو من البيزنطيين بعد استردادها على يد رومانوس في عهد أناستاسيوس وما دمنا نربط وجودهم في شرق خليج أيلة بهجرتهم من اليمن بعد الغزو الحبشي فإن ذلك قد تم في عهد جستين (٥١٨ – ٥٢٧م) وهذا ــ كما ذكرنا ــ لم يكن بعيداً جداً عن العام الذي بدأ فيه جستنيان اضطهاد اليهود في فلسطين (٥٢٩) واستيلاء البيزنطيين على الجزيرة .

ولمناقشة النقطة الثانية وهم السراقنة الذي سكنوا واحات النخيل نرجع لنص بروكوبيوس[٣٨] الذي يتحدث فيه عن المنطقة شرقي خليج أيلة والتي حاول جستنيان تأمينها كجزء من تأمين نقطة المكوس المهمة على الجزيرة ، كذلك تأمين التجارة البرية التي تتحرك وصولاً إلى هذه النقطة حيث كان ذلك كله يخدم سياسته العامة لتأمين تجارة البحر الأحمر.

يذكر النص أن " هذا الشاطئ الذي يمتد حتى خلف تخوم فلسطين يتبع السراقنة الذين استقروا منذ القدم في بساتين النخيل ، وهذه البساتين (الواحات)

جستنيان– كان ذلك إيذاناً بخضوع كل المستعمرات اليهودية الأخري في بلاد مدين ورد محطة التجارة يوتاب التي في مدخل الخليج – موضع الخلاف– للإمبراطورية. ولكنه يعود وينكر أن هذا الحصن أو القلعة توجد في يوتاب نفسها ويستند في ذلك على أنه لا يوجد لا سجل للضرائب أو معلومات أثرية (عام ١٩٣٨) تؤكد بوجود قلعة قديمة أكثر قرباً من الجزيرة في الرأس المزدوج الذي يمتد تجاه جزيرة تيران تحت اسم راس فرتك (رأس الشيخ حميد) أو رأس القصبة أو حتى في واحدة من الجزر الصغيرة المجاورة لتيران وينكر Misil. , N.H.,P.114 أن أهالي مقنا – في العصر الحديث – يعبرون الخليج بالقوارب لكي يبيعوا مواشيهم . وينكر أحد التقارير الآتية :
Ingraham M.L. and others, *Preliminary Report on A Reconnaissance Survey of the Northwestern Province, Atlal* 5, JSAA, 1981, pp. 62-4.
أن جبال الحجاز (من البوير إلى وادي عينونه) يوجد بها بعض بساتين للنخيل وعدد من الحقول الصغيرة بينما تتعدم السهول الساحلية على الساحل الغربي لخليج العقبة ، والموقعين الأثريين الوحيدين الذين وجدوا على طول هذا الساحل قد عثر عليها على قمة جبل بمنطقة (مقنا)
٣٨ *Procop* ., I. X1X, 8-13.

بالداخل (بعيدة عن الشاطئ) وتمتد على مساحات كبيرة من الأرض ، ولا ينمو هناك شيء أبداً سوى أشجار النخيل فقط "

Ταύτην δὴ τὴν ἠιόνα ευθὺς μὲν ὄρους τοὺς Παλαιστίν
ης ὑπερβάντι Σαρακηνοὶ ἔχουσιν, οἳ ἐν τῷ φοινικῶνι
ἐκ παλαιοῦ ἵδρυνται. ἔστι δὲ ὁ φοινικὼν εν τῇ μεσογ-
είᾳ ἐς χώραν κατατείνων πολλήν, ἔνθα δὴ ἄλλο τὸ παρ
άπαν οὐδὲν ὅτι μὴ φοίνικες φύονται μόνοι .

ثم يذكر أن أبو كارب حاكم السراقنة هناك والذي عينه الإمبراطور فيلارخوس على السراقنة في فلسطين ، قد حمى هذه الأراضي من السلب الدائم سواء من البرابرة (العرب) الذين يحكمهم أو من الأعداء (الفرس) ، كان أبو كارب مهاباً ، وكان بصفه استثنائية حليفاً (تابعا) نشطاً .

ὁ τῶν ἐκείνῃ Σαρακηνῶν ἀρχων, καὶ αυτὸν βασιλεὺς φ
ν'λαροντῶν ἐν παλαιστίνη Σαρακηνῶν κατήσατο. ἀδήω
τόν τε τὴν Χώραν δειφύλαξε τὸν ἅπαντα χρόνον, ἐπεὶ το
ἵστε ἀρχομένοις βαρβάροις καὶ οὐδέν τι ἧσσον τοῖς πολ
εμίοις φοβερός τε αεὶ Ἀβοχάραβος ἔδοξεν εἶναι καὶ δια
φερόντως δραστήροις .

ويذكر في موضع آخر من نفس النص "هناك أرض (تابعة لواحات النخيل ؟) ليست مأهولة بالسكان تماماً، تمتد خلال منطقة جافة ، وتبعد مسافة مسيرة عشرة أيام"

γῆ τε γὰρ ἀνθρώπων παντελῶς ἔρημος καὶ ἀτεχνῶς ἀν-
υδροσεν μέσῳ οὖσα ἐς δέκα ἡμερῶν ὁδὸν διήκει.

وتلك النصوص تالية لحديث بروكوبيوس عن سياسة جستنيان تجاه العبرانيين على الجزيرة معنى ذلك أن وصفه لتلك المنطقة جزء من حديثه عن الجزيرة ، ونتساءل هل استدعى حماية وتأمين تجارة البحر الأحمر وجزيرة يوتاب امتداد النفوذ البيزنطي إلى كل هذه المساحات من الأرض حتى تخوم فلسطين أم أنه كان اتصال لنفوذه في خليج أيلة بنفوذه في فلسطين ، في حين لا نستطيع تحديد مكان واحات النخيل تلك أو الأرض

التابعة لها سوى أنها منطقة تمتد على مساحة كبيرة من الأرض وأن هناك أرض ليست مأهولة بالسكان تماماً في منطقة جافة وتبعد مسيرة عشرة أيام ، وأن هذا العامل العربي الذي عينه الإمبراطور (جستنيان) على عرب فلسطين حمى هذه الأرض من السلب الدائم سواء من العرب الذين أطلق عليهم برابرة أو الأعداء الآخرين الذين يعتقد أنه يقصد بهم الفرس .

ويظهر هذا النص أننا أمام أحد من الذين استعملهم جستنيان لحماية تجارة البحر الأحمر وذلك في شمال غرب الجزيرة العربية وهو هذا الشخص الذي عينه جستنيان فيلارخوس من قبل بيزنطة على منطقة لا نستطيع تحديدها تماماً .

ذكر موزيل[٣٩] أن بركوبيوس لم يذكر اسم الواحة، وذكر أنه من الممكن الوصول إليها خلال عشرة أيام سيراً لا يساعدنا في تحديد مكانها بدقة ، حيث لا نعرف هل يعني السير في طريق قوافل الجمال؟ وأيضاً لا نعرف نقطة البداية ، وقد افترض موزيل عدة افتراضات :

أن واحة النخيل تلك هي دومة الجندل استناداً على أنه يمكن السير بمعدل ٥٠ كم يومياً لمدة عشرة أيام خلال إقليم خال من الناس والماء إلى جزيرة يوتاب ولكنه يذكر أن وصف بروكوبيوس لا ينطبق مع الجوف حيث أن واحة النخيل التي ذكرها بروكوبيوس لم تكن واسعة وسلطة قائدها غير التي عرف بها السلطة الخاصة بحكام الجوف الذين سيطروا على إثنتين أو ثلاث من الطرق التجارية الهامة.

والافتراض الثاني أنها دادان Dajdan أو حديثاً (العلا) التي تقع على بعد ٣٦٠ كم شرقي يوتاب ، وذكر أن هذه المسافة لا تنطبق سواء على راكب الجمل أو السير في الطريق البري التجاري ، أما الافتراض الثالث فهو أن عشرة أيام سيراً

---

٣٩ Musil, op. cit., p. 308; Shahid , *Byzantuin in fifth Cent.*, p. 67, n.4.
كانت دومة الجندل هي محطة الاتصال لهؤلاء الين يأخذون طريقهم من الحيرة إلى الحجاز في غرب الجزيرة العربية أو إلى المناطق البيزنطية حيث كانت تتحكم في وادي السرحان ، ومن الملاحظ أن تلك الواحة المهمة قد سيطر عليها قبائل كلب وغسان خلال القرن السادس ومن الممكن أن نفوذ الغساسنة في دومة الجندل يرجع إلى امرؤ القيس ، الذي استطاع إقامة بعض الوجود الغساني من قبل منذ القرن الخامس .

لقوافل التجارة من الشاطئ ناحية الشرق تقود إلى واحة تبوك Tabuk على بعد ١٨٠ كم ، وهي أقرب إلى حدود ولاية فلسطين بحيث يستطيع قائد (dux) هذه الولاية حكمها.

وبالرجوع إلى برامج المسح الأثري الذي قامت به البعثات الأثرية في المنطقة الشمالية والشمالية الغربية للجزيرة العربية نجد أنه هناك عدة واحات ظهرت في عدة تقارير أثرية :

ذكر موقع هام في غرب الجزيرة العربية هو موقع (خريبة) في واحة العلا، ورغم أن هذا الموقع يدل على قيام مستوطنات على جانب كبير من الأهمية حيث يذكر التقرير أن مدينة العلا الأثرية بقلعتها الضخمة تشهد على تربع سلطة إقليمية في العصر الإسلامي[٤٠] ، ومادام هناك قلعة إسلامية فمن المرجح أنه كان هناك وجود في العصر البيزنطي ، لأن التقرير الأثري يفترض أن (خريبة) في واحة العلا كانت مركزاً لحكومة قوية استطاعت إحكام سيطرتها على المنطقة ، وربما امتد نفوذها إلى ما وراء الواحة نفسها ، حيث ارتكز هذا النفوذ على نظام ري متطور ساعد على تأمين الطعام لسكان رقعة استيطانية كبيرة وأعداد من العابرين وذلك من خلال نظام زراعي شامل أسهمت فيه المستوطنات الريفية الصغيرة المنتشرة في الواحة بتقديم الأيدي العاملة اللازمة لاستمرار نظام الري[٤١].

ويذكر تقرير آخر عن إحدى الواحات الهامة في شمال الجزيرة العربية حيث تتوسط شبكة الطرق التجارية القديمة وهي واحة تيماء ، حيث يذكر التقرير أن البقايا الأثرية للمستوطنة القديمة يفوق حجم المدينة الحديثة ، حيث رصد المسح الأثري ثلاثة مواقع معمارية هامة هي قصر الحمراء وقصر الرضم ، وقصر الأبلق[٤٢] ، ومن المؤكد أن تيماء ظلت مدينة كبيرة ومزدهرة إبان العصر البيزنطي وأوائل العصر

---

٤٠ Bawden, G. , *Kief El-Zahrah in the Al-'Ula Oasis, Atlal*, JSAA, Vol .3, 1979, 63 .

٤١ Ibid., p. 71 .

٤٢ Bawden, G & Edens, Ch. & Miller R. , *Priminary Archaeological Investigation at Taayma, Atlal*, JSAA, Vol. 4, 1980, p. 70.

الإسلامي ، كما أنها أسهمت في التطور الهائل بالمنطقة ، وتوصف المدينة بأنها واقعة على شواطئ بحيرة وسط بساتين النخيل والحقول الخصبة ومما لا شك فيه أن البحيرة تفسر وجود حوض ماء كبير في تيماء ، ويضيف التقرير أن الإصطخري قد وصفها حوالي عام ٩٥١ باعتبارها أكثر المستوطنات الشمالية تحصناً وكثافة سكانية ، كما أنها تضم بساتين شاسعة للنخيل وتدعم بإمداداتها سوقاً كبيرة . كذلك وصفها المقدسي وصفاً مشابهاً بعد ذلك حيث ذكر أنها المدينة الوحيدة بشمال صحراء الجزيرة العربية ، كما امتدح تيماء بوفرة الآبار والعيون، وأنها محاطة بحدائق خصبة وغابات وبساتين فضلاً عن أنها تضم منشآت عمرانية كبيرة.

وللمقارنة بين ما ذكره (موزيل) وتقارير الحفائر الأثرية وبالنظر إلى مواقع تلك الواحات وموقع مدخل خليج أيلة نجد أن واحة الجوف التي بها دومة الجندل بعيدة بعداً كبيراً – هذا إذا فرضنا أن بروكوبيوس يتحدث عن مسيرة العشرة أيام من الجزيرة – كذلك نجد أن تيماء والعلا إلى الجنوب الشرقي ، بحيث يكون النفوذ فيها أقرب إلى وسط الجزيرة ، أما تبوك فهي – كما ذكر موزيل –أقرب إلى الانضواء تحت لواء قائد فلسطين البيزنطي .

وبالنظر إلى جغرافية شمال غرب الجزيرة العربية نجد أنه يتجمع عند بداية تبوك الطرق الرئيسية القادمة من كافة الاتجاهات ، من الغرب (حقل البدع) من الشمال الشرقي (وادي سرحان) ، من الجنوب (تيما والعلا) بالإضافة إلى بعض الطرق الصغيرة خاصة التي تؤدي إلى جنوب الجزيرة العربية عبر تيماء ، ويتاخم المدينة من الجنوب الغربي منطقة الحسمة ، وهي منطقة عبارة عن هضبة فسيحة تقع شرق منطقة الحجاز والمياه فيها نادرة والزراعة ضئيلة ، وعلى الحافة الغربية يوجد طريق رئيسي يمتد في اتجاه شمال ــ جنوب حتى (وادي رم) بالأردن بالإضافة إلى وجود المواقع الأثرية مثل (قرية) و (روافه) على الطريق الشرقي والجنوبي بما يوحي بأن هناك طرقاً هامة كانت تمر عبر المنطقة قاصدة العديد من الاتجاهات [٤٣] ونجد أن صحراء الحسمة هذه تفصل واحة تبوك عن خليج أيلة، بحيث نعتبر أنها هي

---

٤٣ Ingraham M.L. and others, *Atlal*, JSAA, 1981, p. 64-5.

التي يقصد بها بروكوبيوس قوله " هناك أرض غير مأهولة بالسكان تماماً ، تمتد خلال منطقة جافة وتبعد مسيرة عشرة أيام " .
أيضاً ذكر بروكوبيوس عن تعيين جستنيان لهذا القائد العربي ليكون فيلارخوس على "السراقنة في فلسطين" لذلك من اللازم أن يكون قريباً لفلسطين وأقرب واحة لفلسطين هي تبوك.

أما بالنسبة لحكم هذا الحليف العربي لجزيرة يوتاب فإن النصوص لا تشير إلى أي أحد من القواد العرب أو شيوخ القبائل قد استطاع وضع يده على الجزيرة أو أن جستنيان قد عهد لأحد منهم بإدارتها ، وكما ذكرنا فإن إخراج جبلة على يد رومانوس في عهد أناستاسيوس كان آخر عهد بحكم العرب للجزيرة.

النقطة الثالثة في نص بروكوبيوس والتي ذكرت خلال حديثه عن الجزيرة فهم المعديون حيث ذكر "وإلى جوار هؤلاء الناس (سكان واحة النخيل) هناك سراقنة آخرون يمتلكون الساحل وهم الذين سموا بالمعديين وهم جزء من الحميريين[٤٤] .

τούτων δὲ τῶν ἀνθρώπων ἄλλοι Σαρακηνοὶ ἐχόμενοι τὴν ἀκτήν ἔχουσιν, οἳ δὴ Μαδδηνοὶ καλοῦνται, Ὁμηρι τῶν κατήκοοι ὄντες .

ولمعرفة هؤلاء المعديين نعود إلى حديث فوتيوس الذي نقله عن ننوسوس[٤٥] ــ وهو السفير الذي أرسله جستنيان عام ٥٣٠م تقريباً إلى الأثيوبيين والحميريين وعرب الخيام ــ والذي ذكر أن قائدهم هو قيس ، وأنه كان قائداً لإثنتين من القبائل العربية المشهورة (في وسط الجزيرة العربية) وهما الكنديون والمعديون ويذكر فوتيوس نقلاً عن ننوسوس أيضاً أن قيس هذا قد ذهب إلى بيزنطة مع عدد كبير من حاشيته بعد أن قسم

---

٤٤ *Procop.* , I, XIX, 14.

٤٥ Nonnosus , *Bibliotheca of Photius*, 3 .

رئاسة قبيلته بين أخويه عمرو ويزيد حيث عينه الإمبراطور فيلارخوس على فلسطين،* حيث يذكر بروكوبيوس أن ذلك لأن قيس كان من سلالة قواد(٤٦).

وعلى ضوء حديث ننوسوس فإنه يبدو أن الذي ذكرهم بروكوبيوس بالمعديين هم إخوة قيس (عمرو و يزيد) **، وسواء أكان قائد المعديين هؤلاء هو قيس أم اخوته فإنه حسب حديث بروكوبيوس أنهم كانوا يمتلكون الساحل ، وبذلك ارتبط نفوذهم بطريق التجارة البري كذلك البحري.***

أما الحليف الآخر الذي يظهر في المصادر خلال عصر جستنيان فهو الذي ذكره بروكوبيوس ومن الممكن أن يكون له دور في حماية التجارة الشرقية في البحر الأحمر فكان الحارث بن جبلة ويبدو أنه ابن جبلة(٤٧) الغساني الذي يذكـــره

---

* واضح من تعيين بيزنطة لـــ Αβοχαραβος فيلارخوس وتعيين قيس أيضاً فيلارخوس بعد دعوته لزيارة القسطنطينية أن دعوة الإمبراطور ليو لإمرؤ القيس العربي لزيارة بيزنطة وتعيينه فيلارخوس – والتي أظهر مالخوس استياءه منها– قد فتحت الباب أمام حلفاء بيزنطة العرب سواء لزيارتها أو حمل لقب فيلارخوس.

٤٦ *Procop.* , I, XX, 9-10.

** أنظر دراستنا عن : سفارات الدولة البيزنطية هامش رقم ١٨ .

*** من تتبع السياسة البيزنطية تجاه عرب وسط الجزيرة العربية نجد أن جستنيان ليس أول من تحالف معهم حيث ذكر فوتيوس Nonnosus , *Bibliotheca of Photius*, 3 أن قيس هـــذا حفيـــد Arethas الذي كان له علاقة بالسفير ننوسوس الجد ، أثناء حكم أناستاسيوس (٤٩١-٥١٨) ثم امتدت هذه العلاقة إلى السفير Abramesابن ننوسوس الذي اتصل بقيس هـــذا هـــو وننوســـوس الحفيد، معنى ذلك أننا أمام عائلة من السفراء خدمت الإمبراطورية البيزنطية خلال ثلاثة أجيال – كما يذكر فوتيوس– مقابل لها أسرة تحالفت أيضاً خلال ثلاثة أجيال هم الحارثة ثم إبنه الذي لـــم يذكر اسمه في النصوص ثم قيس هذا وأخويه يزيد وعمرو.

٤٧ *Procop.* , I, XVII,47.

عن المؤرخ بروكوبيوس وكتاباته عن العرب خصوصاً الغساسنة والمناذرة وعلاقة الحارث بـــن جبلة الغساني بالإمبراطور جستيان أنظر : لطفي عبد الوهاب يحي ، العرب في العصور القديمة، مدخل حضاري لدراسة تاريخ العرب قبل الإسلام ، الإســـكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ٢٢٤-٢٢٦ ،

ثيوفانس[٤٨] بأنه هو الذي أخرجه القائد البيزنطي من جزيرة يوتاب أثناء حكم أناستاسيوس ، ويبدو أن الحارث هذا قد قنع بأن يكون عميلاً لبيزنطة ضد الفرس أو عملائهم اللخميين ، حيث يذكر بروكوبيوس أنه لأجل تصديه لقائدهم المنذر منحه جستنيان لقب ملك ، وهو الشيء الذي لم يحدث قبل ذلك من قِبَل الرومان .

διὸ δὴ βασιλεὺς Ἰουστινιανὸς φυλαῖς ὅτι πλείσταις Ἀρέθαν τὸν Γαβαλᾶ παῖδα ἐπέστησεν, ὃς τῶν Ἀραβίοις Σαρακηνῶν ἦρχεν, ἀξίωμα βασιλέως αὐτῷ περιθέμενος, οὐ πρότερον τοῦτο ἔν γε Ῥωμαίοις γεγονὸς πώποτε .

وعلى أي الأحوال فابنضواء كل هؤلاء الحلفاء تحت نفوذ بيزنطة ، خضع الطريق التجاري البري المحاذي للبحر الأحمر وخليج أيلة وجزيرة يوتاب التي تقع في مدخله للسيطرة التامة لبيزنطة وإذا كان المؤرخ الحديث يذكر نقلاً عن أحد قواد السفن الحربية عام ١٩٣٨ قوله : أنه من المؤكد أن هذه الجزيرة لها أهمية استراتيجية من الدرجة الأولى حيث تتحكم في مدخل خليج العقبة ، وأن الذي يملك العقبة يجب أن يملك تيران عوضاً عن السويس ، ويتحكم في طريق البحر الأحمر ، بلاد العرب ، الهند وإذا كان قد أضاف : ولنا أن ندرك أن هذه الجزيرة كانت لعبة رهان في المعارك

ويذكر رأفت عبد الحميد ، بيزنطة بين الفكر والسياسة ، ص ١٧٦ ، أن جستيان أوعز إلى الحارث بن جبلة ملك الغساسنة الذي كان يدين بالولاء لبيزنطة أن يتصدى لثورة اليهود في فلسطين حيث نجح الحارث ومعه القوات في إخماد هذه الفتنة وإعادة الهدوء إلى فلسطين .

٤٨ Theophanes , *Chronographia*, AM 5990.

إذا كان الحارث هذا هو ابن جبلة الذي أخرجه رومانوس من يوتاب ، من الممكن أن نرجح أن جبلة هو بن امرؤ القيس أو وريثه على الجزيرة لأنه واضح من وجود لحارث ضد المنذر اللخمي أن الحفيد عاد إلى نفس المنطقة التي خرج منها امرؤ القيس قبل تجواله ووصوله إلى شرق خليج أيلة واستيلائه على جزيرة يوتاب.

الحربية [٤٩]، فلنا أن ندرك نحن ما كان من أهمية لتلك الجزيرة في الوقت الذي استطاع فيه جستنيان امتلاك البحر الأحمر بزراعية أيضاً الأرض من حوله .

إذا حاولنا كتابة أي شيء عن حضارة الجزيرة فذلك من الصعب حيث أن المعلومات عنها قليلة يصعب من خلالها تكوين صورة واضحة عن حضارتها حيث لم يستخرج منها أي أدلة أثرية أو كتابات أو نقوش يمكن أن تعطينا فكرة عن الحياة عليها، فقد كان نقص المصادر سواء المكتوبة منها أو الأدلة الأثرية عوامل أعاقت الباحثين عن معرفة كيف كانت الحياة على الجزيرة ، وواضح أن ذلك بسبب طبيعتها القاسية التي وصفتها الكتابات القديمة كذلك الكتابات العربية – كما رأينا- وأيضاً الأوصاف الحديثة التي تدل على أن جغرافيتها ومناخها لم يتغيرا كثيراً عن القدم ، حيث يصف أحد الرحالة الجزيرة عام ١٩١٤ بقوله أنها جزيرة مجدبة تماماً ، تحتوي على بعض النباتات الشوكية الصحراوية ، ليس هناك ماء إلا مايمكن أن يتركه المطر في حفر الصخور الصماء ، وأنني لا أتذكر مشاهدتي لشيء ما يبدو على هيئة بناء أو ما يشبه البناء أو حتى شقافات من الفخار ، لا شيء يشبه تل من التراب ، أن كل الدور الإقتصادي ليوتاب ناتج عن وضعها الجغرافي ، إن ثروات الأرض والبحر غريبة تماماً عن هذه الجزيرة ، والأمل هو في كشف أثري منظم لها من قبل علماء الآثار [٥٠] .

من المرجح أنه لم يقم عليها سوى التجار أيضاً التجار العابرين ومن هم في نقاط المكوس لتحصيل الضرائب لذلك لا نستطيع تكوين فكرة عن جمرك الجزيرة إلا بالمقارنة بنقاط المكوس الأخرى الموجودة على البحر الأحمر كالقلزم وأيلة كما قام بذلك أحد الكتاب الحديثين [٥١] ، اللهم إلا ما نستدل عليه من نص مالخوس[٥٢] الذي

---

٤٩ Abel, op. cit., pp. 536-7.
٥٠ Ibid , p. 538.
٥١ عن جمرك الجزيرة أنظر، Ibid , pp. 517-25.
٥٢ Malchus, *Ex Historia* , 1.

ذكر فيه وجود جباة العشر من الرومان ، كذلك نص ثيوفانس[٥٣] الذي يذكر فيه أن القائد الروماني رومانوس قد أعاد الجزيرة إلى التجار الرومان ليقوموا على إدارتها ويدفعوا للإمبراطور الضريبة المحددة على البضائع التي يستوردونها من الهند ، مما يدل على وجود إدارة منظمة للجمرك على الجزيرة .

لكن يبدو أن هؤلاء المقيمين أو العابرين من المسيحيين احتاجوا لرجال دين ومكان للعبادة حيث نجد أن هناك حالات بسيطة ظهر فيها إما وجود كنيسة على الجزيرة كما ذكر خوريكيوس[٥٤] أو الاستدلال على أنه كان هناك رجال دين على الجزيرة ، حيث سجلت الوثائق عدداً من أساقفة يوتاب ، فنجد اسم أحد الأساقفة من يوتاب في مجمع خلقدونيا (عام ٤٥١م) ، وكان ضمن أساقفة فلسطين حيث جاء ترتيبهم : من Jutabe , Zoara , Elousa , Aila وقد مُيز ذكر أسقف يوتاب بأنه شديد الورع:[٥٥]

Μαρκιανός ὁ εὐλαβέστατος ἐπίσκοπος Ἰωτάπης

الأسقف الثاني المعروف هو بطرس الذي أرسله امرؤ القيس إلى الإمبراطور ليو عام ٤٧٣ ، هذا إذا اعتبرناه أسقفاً ليوتاب بعد أن استولى عليها امرؤ القيس والثالث هو الذي ظهر اسمه Anastasius بين أسماء قائمة مجمع رجال الدين في أورشليم عام ٥٣٦ مدرجاً في بنود القسطنطينية في نفس العام حيث ذكر باللاتينية episcopus jotapae وباليونانية ἐπ' Ἰωτάβῃ .[٥٦]

من المتوقع أن يكون في جمرك على درجة عالية من الأهمية مثل جمرك يوتاب حامية عسكرية لحماية الجمرك والسفن التجارية القادمة إليه والمغادرة منه ، ولا

---

٥٣ Theophanes, *Chronographia*, AM, 5990, A.D. 477-98.

٥٤ *Choricius of Gaza* , 6.

٥٥ Schwartz, E. , *Acta Concil. Oecum.*, t. II, Vol. I, pp. 2 , 103

أنظر أيضا ، Abel, op. cit., p. 533, n.4

٥٦ تبعا لـ Acta SS., *Octob.*, X, 683 كان يقرأ Anastasius أسقف جزيرة Jotabe

Labbe, Cossart, S. Concil., t.V. (Venise 1928) Concil, Hierosol.

أنظر ، Abel, op. cit., p. 534, n. 5

نستطيع تكوين صورة واضحة عما كانت عليه الحامية العسكرية في يوتاب ، ولكن توجد إشارات نستطيع أن نتبين منها أنه كان للجزيرة حامية عسكرية وذلك في وصف خوريكيوس الغزاوي[٥٧] لاستيلاء البيزنطيين عليها ، ووجود حصن ووصف لمعارك حربية على الجزيرة .

والإشارة الثانية في مخطوط استشهاد القديس الحارث[٥٨] عن أن الملك الأكسومي لأجل استعداده لغزو اليمن (عام ٥٢٢) عمل على تجميع سبعين سفينة مخصصة لنقل الجيش إلى الساحل العربي بغرض الغزو وذلك في ميناء Gabaza بالقرب من أدوليس ، وقد شاركت الموانئ البيزنطية في تكوين هذا الأسطول ، من القلزم عشرون سفينة ومن أيلة خمسة عشر ومن يوتاب اثنتان ، ومن برنيكي سبعة ، وسبع من جزر فرسان ومن الهند تسع وفي هذا ما يدل على أنه كان في يوتاب سفن حربية استعان بها الملك الأكسومي .

من الغريب أنه لم يذكر عن دور مميز للجزيرة بعد ذلك في مصادر العصر البيزنطي ، ويبدو أنها ظلت مجرد نقطة لجباية المكوس حتى بداية العصر العربي ، ومن المحتمل أن ذلك كان نتيجة لمعاهدة الصلح التي أبرمها جستنيان مع الفرس (٥٦١ – ٥٦٢) وذلك لمدة خمسين عاما والتي نصت المادة الثالثة منها على ألا يباشر التجار الفرس والبيزنطيون تجارتهم إلا في مواضع معينة حيث يجري تحصيل المكوس فيها [٥٩] .

---

٥٧ *Choricius of Gaza*, 67.

٥٨ *Acta Sanactae Arethae*

٥٩ أنظر ، Johonson and West, *Byantine Egypt*, p. 138 ; Abel, op. cit., p. 528-9.

Menander Historian, in *Corpus Scriptorum Historiae Byzantinae*, ed. B.G. Niebuhr, (Bonn, 1829) 346 ff; Vasiliev, op. cit, I, p. 134; Bury, *LRE*, II, p.120-3; Ostrogotosky, op. cit., p. 66.

أنظر أيضا، أرثر كريستنسن، إيران في عهد الساسانيين ، ترجمة يحي الخشاب ، بيـــروت ، ص ١١٣-١١٤؛ الباز العريني، الدولة البيزنطية ، ص٧٦

وكما ذكرنا من قبل أنه تم في عصر جستنيان تعيين نقاط معينة ، رخص لها بتحصيل المكوس في أنحاء الإمبراطورية وكانت يوتاب من ضمن هذه النقاط ، فيبدو أن المعاهدة شملت الجزيرة كأحد مراكز تحصيل المكوس في الإمبراطورية ، ومن الممكن أن يوتاب كانت محطة المكوس لميناء أيلة أكثر منها لميناء القلزم سواء للسلع التي تأتي بالطريق البحري أو الطريق البري المعروف ، حيث كان من الممكن نزولها في الموانئ في شرق مدخل خليج أيلة وتنقل بالأرماث الخشبية أو الجلدية بواسطة مرشدين محليين وبعد تحصيل الضرائب تنقل على سفن كبيرة إلى ميناء أيلة وبذلك تقل فرصة تهريب البضائع .

لقد كان وجود جمرك يقع بعيداً عن ميناء الوصول يدفع بلا شك إلى الدهشة ، ولكن إلقاء نظرة على الخريطة تبين أنه كان من دواعي الحذر تحصيل ضرائب قبل أن تحرض طبيعة المكان يميناً أو يساراً أشد الموظفين أمانة على شهوة التهريب(٦٠).

من الجدير بالذكر أن النصوص لم تذكر ولو بالإشارة إلى أي تأثير حضاري للعرب على الجزيرة ، ويبدو أن دورهم خلال الفترة التي وضعوا أيديهم فيها على الجزيرة لم يتعد أكثر من استمرار تشغيلها بنظامها السابق الذي كان موجودا بها حتى عصر الإمبراطور ليو ثم الحصول على مكوسها .

---

٦٠ Abel, op. cit., p.526.